

الفصل التاسع والعشرون

[حرية.. أم لا؟]

بعد مضي ساعة منذ غادرنا الكويكب، مازلت غير مصدقة للأمر وأنا أجلس في جانب غرفة القيادة وجواري بسمة أتأمل المكان بصمت.. مازلت أظنني في حلم قد أصحو منه في أي لحظة.. لقد أمضينا على الكويكب ما يقارب الأربع شهور كانت من أطول الشهور التي مرت عليّ في حياتي.. عانيت فيها الكثير، وحلمت فيها بالكثير الكثير.. لكن هل حقاً نجحنا في مغادرة ذلك الكويكب المشؤوم؟.. غمغمت لبسمة التي جلست جواري بصمت "هل تصدقين أننا غادرنا الكويكب حقاً؟"

قالت بسمة بحزم لم أعتده منها "أريد أن أصدق ذلك"

نظرت لها بعجب مغممة "حقاً؟ أما أنا فأشعر أنني لازلت أحلم.. لكن أتمنى ألا يفيقني شيء من هذا الحلم.."

سمعنا خالد يقول لروي "هل يمكنك الاتصال بمجلس الأمن الآن؟"

توتر جميع من في الغرفة والأعين تلتقي عنده.. كانت الغرفة تضمني مع رفاقي الثلاثة، بالإضافة لخالد وروي والمهندسين، ولا أنسى وليد وبعض الحراس.. فيما بقي بقية الحراس في غرف أخرى..

قال روي "بالطبع.. أخبرتك أنني أستطيع ذلك منذ أصلحنا السفينة على الكويكب"

قال خالد "لم أكن أرغب بإجراء هذا الاتصال قبل أن يغادر الكويكب.. أردت في البداية الاطمئنان برحيلنا منه، والآن يمكننا محادثة مجلس الأمن وإبراز كل الحقائق التي نملكها"

فالتفت روي لأجهزته قائلاً "سأحاول الآن.."

ظللنا صامتين جميعاً بانتظار ما سيجري أمامنا والقلق يعتمر الأنفوس بدون استثناء.. وبعد دقائق عدة مرت وروي يجري محاولاته، قال بعد صمت طويل بتوتر ملحوظ "لقد طلبت محادثة أحد قادة مجلس الأمن، وطبعاً لا يمكن أن يتم هذا بسهولة، لكن وعدوني بتحويللي على أحد النواب المهمين في المجلس، وهو السيد مايك إليوت"

بعد لحظات اعتدل روي قائلاً "هاقد تم الاتصال.. هل أعرضه على شاشة الغرفة أم تحدثه بشكل شخصي؟"

قال خالد "بل اعرضه على الشاشة"

قام روي بذلك بالفعل ليروا في جانب من الشاشة المواجهة لهم وجه رجل صارم أشقر الشعر بملامح هادئة وهو ينظر لهم بفضول كبير.. وفور أن رآهم قال "عندما أخبروني أن الاتصال من سفينة فضاء

قادمة من الكويكب لم أصدق الأمر.. لقد وصلتنا معلومات أن سفينة الفضاء الوحيدة قادمة من الكويكب منذ أيام تحمل فيها كل المسؤولين عن إدارته.. فمن تكونون أنتم؟"

قال خالد بهدوء "أنا خالد إبراهيم عالم وفيزيائي ذو شهرة محدودة في هذا المجال.. لابد أنكم تملكون ملفي بما أن المؤسسة استعانت بي في تطوير الكويكب العاشر"

نظر له الرجل باهتمام وقال "وما هو تفسيرك لما يحدث أمامي يا خالد؟ أغلب من أراه أمامي يرتدي زي السجناء، فما الذي جمعك بهم على هذه السفينة؟"

قال خالد بحزم "ليكن في علمك يا سيد مايك أن السفينة هذه تحمل كل شخص كان على الكويكب.. كلهم بلا استثناء، وذلك بعد أن خانتنا المؤسسة وإداريها وغادروا الكويكب مزعمين تركنا حتى نموت اختناقاً بعد نفاذ العقار من أجسادنا"

قال مايك "هذا قول خطير يا سيد خالد.. الإداريين قالوا إن مرضاً انتشر بين السجناء وبعض الحراس وتسبب في مقتل العديد منهم.. وأنت تقول إنهم هربوا؟ هذا القول له عواقبه"

فقال خالد "وأنا أملك الدليل على ما أقول.. سأرسل لك مقطعاً تسجيلياً استخلصناه من أجهزة المراقبة بعد هرب الإداريين، وقبل أن يقوموا بتفجير المباني عن بكرة أبيها.. وفيه إثبات لكل ما أقوله"

ظل مايك يفكر مقطباً وهم ينتظرون رأيه، ثم قال "اشرح لي ما جرى منذ البداية"

استغرق خالد معه في حديث طويل لخص فيه كل ما جرى بينهم وبين المؤسسة.. بينما ساد صمت تام البقية في غرفة القيادة وهم ينتظرون نتيجة الحوار.. وفي النهاية قال مايك بلهجة مصدومة "لم أتوقع أن تكون هذه هي الحكاية.. لكن أمهلوني بعض الوقت لأجتمع بالمسؤول عن هذه القضية وأعرض عليه ما لديكم من إثبات.. ثم سأبلغكم بالنتيجة"

أسرع خالد يقول "والأفضل ألا تعلم المؤسسة بأي شيء مما جرى بيننا.."

قال مايك "هذا مؤكد..."

وأنهى الاتصال تاركاً خالد يزفر بقوة.. فتساءل روي بعد تردد "هل سيصدقون براءتنا؟"

قال خالد بعد صمت قصير "لنأمل خيراً.."

قبل أن ينقضي يومنا، إن أمكنني عده يوماً مع غياب النهار في هذا الفضاء المظلم، رأيت أدهم جالساً في أحد الممرات قرب نافذة تحتل جانباً منه، وذلك عندما خرجت لأسير في الممرات بلا هدف بحثاً عن حلّ لضيق احتل صدري وأنا في غرفة القيادة.. كان أدهم يجلس بصمت خافضاً وجهه وهو

يريح يديه على ركبتيه.. بدا لي مهموماً، فلم أجد بداً من الاقتراب منه وسؤاله "ما الأمر؟ هل أنت قلق أيضاً مما قد يقرره مجلس الأمن؟"

رفع أدهم بصره وأجاب "ومن ليس كذلك؟ لست أثق بأحد.. المؤسسة قادرة على إدانتنا من جديد، وأخشى أن يخضع لها مجلس الأمن"

جلست بدوري مستندة على الحائط خلفي وقلت "لا نملك إلا الانتظار.. ولنأمل خيراً كما يقول خالد" سادنا الصمت للحظات قبل أن أتذكر أمراً، فالتفت إليه متسائلة "أنت لم تخبرنا، هل استعدت ذاكرتك؟ نحن كلنا استعدناها في أوقات متفرقة، لكنك لم تذكر لنا شيئاً عنك أبداً" قال أدهم "لقد استعدتها بالطبع.. ربما بعد أخذنا العقار بفترة وجيزة، لكني لم أجد فيها ما يستوجب إخباركم به"

فقلت بإلحاح "لكني أريد أن أعرف من كنت في الماضي..". نظر لي بتعجب معلقاً "أتظنين أنني كنت رئيس دولة أو شخصية مهمة؟" قلت مصرة "أريد أن أعرف"

هز كتفيه قائلاً "كنت ملاكماً.. لم أكمل تعليمي وانضمت لنادي ملاكمة شبه محترم، وبدأت أتدرب على يد ملاكم متقاعد.. عندما بلغت الثامنة عشر كنت قد حصلت على شهرة محدودة بعد نجاحي في عدد من المباريات، وبدأت ألفت الأنظار.. ومع الوقت، أصبحت مرشحاً وبقوة لنيل جائزة إحدى البطولات المحلية.."

فقلت مبتسمة "ماضيك مشرق وبهيج.. فما الذي رمى بك إلى هذا المستنقع؟" تنهد قائلاً "لم تكن المباريات تعود عليّ إلا بربح ضئيل.. وكنت قد سقطت في عدد من الديون مع بعض المراهبين.. ولما كادوا يوقعون بي في السجن، تطوع رجل أعمال معروف بإسقاط الدين عني كاملاً، وطبعاً جعلني أوقع على عدد من الأوراق ليضمن أنني سأعيد له ماله.. وبعد عدة أشهر، ومحاولات عديدة مني لتسديد دينه، عاد الرجل لي يحمل عرضاً بإشراكي في بعض المباريات المشبوهة والتي تحتوي على العديد من المخالفات.. حاولت الرفض، لكن مع تهديده لي بالسجن بسبب دينه الضخم، رضخت للأمر الواقع وشاركت في بعض تلك المباريات.. حصلت على بعض النجاح ومنيت ببعض الخسائر، وهذا أمر معتاد في أي رياضة كانت.. لكن لم يعجبه ذلك، تعرضت لعدة هجمات من رجاله بعد بعض المباريات الخاسرة، وكأنه يعاقبني عليها.. وقد صرّح بأنه سيفضح اسمي لدى اتحاد الملاكمة والصحافة المهتمة بهذه الرياضة.. كان يريد إجباري على الفوز بأي ثمن حتى استخدام حيل غير مشروعة، ليضمن ألا تتوقف الأموال التي تدرّ عليه من المباريات.. وبعد أن هددته بأنني سأفضحه وأفضح كل الممارسات التي تقام في تلك المباريات، أضمر في نفسي شراً لي.. فوجئت بمداهمة من

رجال الأمن لمنزلي بتهمة ظالمة، وقد عثروا على أكياس وأكياس من المخدرات مخبأة فيه، فاتهموني بأني تاجر مخدرات.. ورغم إنكاري وعدم معرفتي بكيفية وصولها لمنزلي، فإن عدداً لا بأس به من جيراني قد شهدوا ضدي لتثبت التهمة عليّ، ويبدو أن رجل الأعمال لم يدخر أمواله في شراء ضمائهم.. وهكذا ثبتت التهمة عليّ وحوكمت بصرامة، لأجد أنني متوجه للكويكب العاشر لذنب لم أرتكبه..”

وابتسم بسخرية قائلاً “ذنبني أنني احتجت للمال ولم أجد من يسد حاجتي إلا رجل حقير..” فقلت معلقة على قصته “إذن يمكنك إثبات براءتك وفضح ذلك الرجل وما يفعله في تلك المباريات غير الشرعية.. الأمور لن تكون سيئة جداً بالنسبة لك” غمغم “لست متأكداً من هذا..”

ثم نظر إليّ قائلاً “وماذا عن بسمه؟ من سيصدق أنها لم ترتكب تلك الجريمة إلا دفاعاً عن نفسها؟” نظرت له بدهشة وتساءلت “أكنت تعرف بالأمر؟”

هز رأسه إيجاباً وقال “أخبرني به أمجد.. إذ أنني لم أطق صبراً لأعرف سبب دموعها ذلك اليوم” ابتسمت معلقة “أنت لازلت مهتماً بها.. رغم ادعائك أنك رميت كل ذلك خلف ظهرك” تنهد قائلاً “أعتقد أن شيئاً كهذا يمكن نبذه بكل بساطة؟ لكنني أعرف متى عليّ الانسحاب من قضية خاسرة.. وقد فعلت”

لم أجد ما أقوله تعقيباً على هذا، لقد تزايد إعجابي بأدهم وبقناعاته التي رغم بساطتها فإنها مؤثرة جداً.. كم أتمنى أن يجد سعادته بعد انتهاء ما نحن فيه.. فهو يستحق ذلك ولاشك..

تذكرت شيئاً فسألته “وما هو اسمك قبل قدومك للكويكب؟”

فتح فمه ليحجب لكنني أسرع أقول “لا تقل إنه وسيم..”

أطلق ضحكة عالية وهو يعلق “لازلت تذكرين ذلك؟”

بدا شيء من الانشراح على وجهه مما أراحني، رغم أنه رفض بإصرار الإجابة على سؤالي محتفظاً باسم أدهم.. فتركته وأنا أعود لتجوالي بلا هدف..

”ماذا؟“

لفتت انتباهي تلك الصيحة التي صدرت من أدهم فور دخولي لغرفة القيادة.. مرّ علينا يوم بانتظار رد من مجلس الأمن، وكنت قد خرجت أتفقد الأوضاع في السفينة في الغرف التي تضم السجناء بقلبها،

فعدت لأجد الجو متوتراً بشدة.. نظرت بدهشة لما جرى لأجد أدهم يواجه خالد بغضب وبسمة تقف جانباً مصدومة بشدة.. بينما قطب أمجد مطرقاً بصمت.. وخالد ينظر لأدهم بهدوء دون انفعال.. فعاد أدهم يقول "ماذا قلت؟ أنت جاد؟"

قال خالد "بالطبع.. لقد تحدثت مع مجلس الأمن الدولي وهو قد أبلغني بذلك.."
فقال أدهم بحق "كيف رضيت بذلك؟"

أجاب خالد "وهل أملك خياراً؟ لاحظ أنني بلا سلطة في العالم الخارجي ويمكن أن يزجوا بي في السجن بدوري إن رفضت الانصياع لهم"

اقتربت من أمجد تاركة أدهم وخالد يتجادلان بشدة، أو أن هذا ما يفعله أدهم يقابله هدوء خالد الشهير.. فسألت أمجد "ما الذي جرى؟"

زفر أمجد بضيق ظاهر، ثم قال "مجلس الأمن قد أقرّ بتصديقه لنا وقبوله الدعاوي التي ننوي رفعها ضد المؤسسة بعد أن شاهدوا الإثبات.."

قلت بدهشة "ذلك خبر رائع.. فما باله أدهم؟"

قال أمجد "لقد طلبوا منا الهبوط في إحدى قبب القمر.."

ظلمت أنظر له بحثاً عن الخبر الذي أزعج أدهم، فقال أمجد بعد تردد "إنهم يصرون على قرارهم إعادة السجناء جميعاً للسجن حتى تفتح ملفاتهم من جديد ويبت في قضاياهم مرة أخرى"

هتفت بعدم تصديق "مستحيل.. سيحكمون علينا بأننا مذنبين مرة أخرى"

قال أمجد بسرعة "هم وعدونا بتحري الصدق هذه المرة، لكن لا تنسي أن بيننا من كان مجرمًا حقاً.. ومن الخطر الإفراج عن الجميع دون تدقيق"

فنظرت لبسمة التي جلست جانباً مطرقة وقلت "وماذا عن بسمة؟ هل سيحكمون عليها بأنها مذنب؟"
وعدت ببصري نحو أمجد مضيفة بقلق أشد "وماذا عني أنا؟ لا أملك دليلاً واحداً على براءتي وأخشى من حكمهم علي"

قال أمجد مهدئاً إياي "لكنك بريئة بالفعل، والحقيقة يجب أن تظهر يوماً.."

قلت بإلحاح "وبسمة؟"

تنهد أمجد بصمت وأنا أنتظر رده وكأنه حكم فاصل لقضية بسمة، ثم قال لي "نأمل أن يأخذوا بعين الاعتبار كونها كانت تدافع عن نفسها.."

انتفضت واقفة وهتفت "تأمل؟"

نظر لي بضيق وصمت، فاتجهت من فوري لأقف قرب أدهم مواجهة خالد وأنا أقول "لماذا تصرفت بمفردك دون استشارة أحد؟ كيف تخوّل لنفسك التحكم بمصائرنا جميعاً دون سبب مقنع؟"

كان قلبي خالياً من أي لياقة أو لمحة احترام، لكن خالد قال لي بهدوء "أتجدين إطلاق الجميع على الأرض أكثر إقناعاً؟ ما الغريب في أن تخضعوا لحكم عادل مادمتم واثقين من براءتكم؟" قلت بحدة "سيلفون لنا التهم كما فعلوا أول مرة.. مازالت المؤسسة ذات نفوذ في العالم ويمكنها أن تثبت أن الأحكام التي صدرت بحق الجميع لم تكن مغلوطة.."

فقال خالد بصرامة "هل تتحملين مسؤولية المئات الذين نحملهم معنا؟ منهم المجرم، والقاتل، والسارق، والمغتصب.. من سيتحمل ذنب ما سيقترفونه بعد أن نطلقهم في المجتمع بعيداً عن عين القانون؟" ساءني الموقف الذي وجدت نفسي فيه، وساءني الخوف الذي بدأ يستعمر نفوسنا، وأنا واثقة أن بسمه على الأقل مرتعبة أشد ما يكون الآن.. لكن بم أحاجهم؟ بم أقنعهم؟..

كففت عن مجادلته في حوار خاسر، فاستدريت مغادرة غرفة القيادة بصمت غاضب، وسرت في ممرات السفينة المتشابكة بغير هدف وبغير معنى.. رغم ثقتي السابقة بأنني سأتجاوز أي مصاعب تعترض طريقي، رغم ثقتي بقدرتي على النجاة في كل مرة، إلا أنني اليوم مزعزعة الفكر وأنا أرى أمامي جداراً صلباً أكاد أصطدم به.. جدار يتلخص في أحكام وقوانين البشر التي لا تخضع للرحمة.. وقفت قرب نافذة تطل على الفضاء الخارجي الشاسع..

تنهدت وأنا أشعر بعقلي يدور في دوامة قوية.. مصيري مجهول، وحياتي معلقة بأهواء أشخاص آخرين قد لا يراعون ما مررنا به و لا يرحموننا.. فماذا نستطيع أن نفعل؟..

شعرت بتربيته خفيفة على كتفي.. فالتفت خلفي لأرى وليد يقف متسائلاً "ما بال كل تلك الكأبة المتبدية عليك؟ أكاد أشم رائحة الدخان المتكاثف فوق رأسك.."

قلت بابتسامة هازئة "يحق لك التعليق بسخرية، فأنت على الأقل لا تخشى مما قد يحصل لك عند وصولنا.."

قال بابتسامة جانبية "ولماذا تخشين ذلك؟ ألسنت مقتنعة ببراءتك؟"

قلت بوجوم "وهل سيقتنعون هم؟"

قال بلهجة درامية "نظرة لعينيك الجميلتين ستجعل القاضي يجزم ببراءتك على الفور.. فلم القلق؟"

قلت بضيق "بل ربما شكلي هذا هو ما سيجعله مقتنعاً بذنبي.. بكل تلك الكدمات والجراح التي تركت أثارها على جسدي ووجهي، وبمظهري الخشن، لا أبدو بريئة بأي حال.."

تنهد وليد وهو يستند على الجدار قرب النافذة قائلاً "أتعلمين.. لقد توجهت باعتراضي لخالد بدوري ما إن علمت بالخبر، قبل أن تعلموا به.. خشيت أن ينقلب كل ما حدث عليكم، وأن يحملكم مجلس الأمن ذنب كل من مات من السجناء في الكويكب العاشر.."

قطبت قائلة "وماذا قال؟"

أجاب وليد "صارحني بأنه يخشى ذلك أيضاً.. وأنه، بعد أن يحكي الحكاية كلها للمسؤولين هناك، سيعلن عن تحمله مسؤولية من مات بسبب نقص عقار آريا لأنها كانت خطته بالأساس.. بينما من مات في مبنى العزل، فهو سيتهم إدارة المؤسسة بالتعمد في قتلهم.."

خففت بصري بضيق بعد أن أدركت أنني قد تسرعت بالحكم عليه، رغم أن هذا لن يخفف من سوء موقفنا بحال.. سمعت وليد يضيف "إنه يخفي مشاعره خلف بروده هذا، لكنه قلق عليكم بشدة.. لا تنسي أن أمجد هو ابن أخيه ولن يسلمه للسجن دون ضمانات.. وأنتم قد تعاونتم معه على الكويكب، ولا تختلفون في أهميتكم عنده عن أمجد.. هو فقط مضطر لتحكيم ضميره في هذه المسألة وعدم الاندفاع خلف أهوائه للأسباب التي ذكرها لك سابقاً.."

سادنا الصمت لوقت قصير، قبل أن أنظر له قائلة بتردد "أتظننا قد نحصل على براءتنا؟"

ابتسم مجيئاً "أرجو ذلك.. كوني على ثقة أن الله تعالى لن يظلمكم أبداً.. وأنتم قد تعذبتُم بما فيه الكفاية في الأسابيع الماضية.."

وربت على كتفي قبل أن يغادر بصمت تاركاً إياي أستسلم لأفكاري من جديد.. ورغم حديثه الذي حاول تهدئة قلقي به، إلا أن الخوف الذي استعمرني لم يكن بقليل..

لم يكد وليد يغادرني بدقائق بسيطة، حتى سمعت صراخاً صادراً عن إحدى الغرف التي تحوي السجناء.. أصخت السمع للحظات محاولة تقدير خطورة الأمر ووجوب تدخلنا فيه من عدمه.. ولما بدا لي الصوت مذعوراً متألماً وطرقات قوية تضرب الباب، توجهت من فوري لتلك الغرفة فوجدت وليد قد سبقني عندها وأخذ يضرب الباب صائحاً "الزموا الهدوء ولا تضطرونا لاستخدام العنف.."

لم يخفت الصراخ والضربات تتزايد على الباب، عندها قال لي وليد "انطلقني إلى غرفة القيادة وليستخدما شاشة الرصد لمعرفة ما يحدث هنا.. أخشى أن يكون أحد السجناء قد تعرض لمن معه بسوء.."

أسرعت لتنفيذ طلبه دون إبطاء.. وحالما شرحت للبقية في غرفة القيادة ما يحدث، وهي لبعدها لا يصلها أي صوت من الضجيج الدائر، قام أحد الحراس بتشغيل شاشة المراقبة وبحث بين الغرف حتى عثر على الغرفة المنشودة.. وعندها شاهدنا الممعة التي حصلت.. كان أحد الرجال ضخم الجثة يركع أرضاً ويمسك بخناق رجل آخر.. كان يحيط رقبته بذراعه القوية واضحة العضلات ويضغط عليها بقوة بحيث بدا وجه الرجل الآخر محتقناً وهو يجاهد لإفلات نفسه، وبقية السجناء يقفون

متفرجين بهدوء دون رغبة بالتدخل، عدا عن أحدهم الذي كان يطرق باب الغرفة بقوة صارخاً طلباً للنجدة.. عندها قال الحارس عبر الشاشة "أنت أيها الوجد.. اترك ذلك الرجل ولا تضطربنا للتدخل" قال الرجل بسخرية "بل أتمنى أن تفعلوا"

ثم أضاف بصرامة "افتحوا الأبواب كلها وإلا قتلت الرجل.. صدقني لن أتوانى عن فعل ذلك..". نظر الحارس لخالد بتساؤل، بينما وقف أدهم قائلاً "افتحوا لي الباب.. سألكمه على وجهه ولن أطلقه حتى يفقد الوعي.. عندها سنقيده بالسلاسل كما فعلوا بنا عند قدومنا حتى نصل لهدفنا ونرتاح منه" أوقفه خالد بإشارة من يده، وقبل أن يعترض أدهم تقدم خالد من الشاشة قائلاً "اسمع يا هذا.. هل نسيت أنك لازلت تحمل السوار في يدك؟ يمكنني أن أذيقك بعض الشحنات الكهربائية التي ستفقدك الوعي أسبوعاً كاملاً، أو تتفضل بإراحتنا من هذه المسرحية التي تقوم بها..". قال الرجل بسرعة "السوار لا يعمل..".

فقال خالد "تأكد بنفسك.. لديك مهلة خمس دقائق لتقرر مصيرك..". وابتعد بصمت تاركاً الرجل ينظر للسوار في يده، ليفاجأ بشاشته مضيئة بنورها المعتاد.. ظل ينظر له بتردد طال.. لحسن حظنا أن أغلب السجناء قد تناسوا أمر السوار ولم يتخلصوا منه بعد تعطل جهاز التحكم به، والسفينة تحوي جهازاً محدوداً للتحكم به في نطاقها.. بينما غمغم أدهم "دعوني أتولى أمره ولن تندموا على ذلك"

دام الصمت في غرفة السجناء وغرفة القيادة لدقائق طالت، قبل أن يتخلى الرجل عن ضحيته بصمت ويتراجع مائلاً شفتيه، عندها أغلق خالد شاشة الرصد معلقاً "سيظلون يحاولون إيجاد سبل للفرار ما استطاعوا..".

لم أعلق وأنا أشعر أن التعليق يشملني مع البقية.. لكنني تنهدت وأنا أصرف بصري للنافذة العملاقة أمامنا.. وتمنيت ألا ينتهي هذا الأسبوع الأخير من حريتنا..

بعد مرور يوم، وبعد استقرار الأمور كلها في السفينة، خرجت من الغرفة التي اتخذتها لي واتجهت لغرفة بسمة المجاورة لي.. كنا قد اخترنا لأنفسنا بعض الغرف الخاصة بالإداريين والتي تقع في جانب بعيد عن غرف السجناء.. كنت أريد الاطمئنان عليها فقد حبست نفسها منذ البارحة بصمت تام.. طرقت الباب عدة مرات دون أن أحصل على استجابة.. وقبل أن يتفاقم قلقي، سمعت حديثاً دائراً في إحدى الغرف القريبة والتي كان بابها موارباً.. اقتربت بشيء من الفضول ودفعت الباب

قليلاً لأجد أدهم يقف مواجهاً أمجد، وبسمة تجلس في جانب المكان بصمت.. ولما رأوني قال أدهم "ادخلي يا حمراء وأغلقي الباب خلفك.."

أطعته بصمت وتعجب، وجلست جوار بسمة التي حملت عيناها قلقاً صارخاً اعتدت وجوده في الآونة الأخيرة.. ولم يسعفني الوقت لسؤالهم عن سبب اجتماعهم بهذه الطريقة، إذ قال أمجد "اسمع يا أدهم.. أنت تعرف أن ما فعله عمي هو الصواب.. لا تنس أنني معكم في كل الأحوال وسيلحقني ما يلحقكم.. فلماذا تتهمني بأنني متواطئ مع عمي لتسليمكم لمجلس الأمن؟"

قال أدهم مقطباً "أتريد إقناعي أن عمك سيرضى بتسليمك للمحاكمة من جديد مع خطر عودتك للسجن بحكم مشدد؟ أتوقع أن يستخدم نفوذه ووساطته لإعفائك وإخراجك من اليوم الأول.. بينما نغرق نحن في مستنقع المحاكم دون بارقة أمل"

قال أمجد بضيق "ليكن في علمك أن عمي لا يملك أي نفوذ من أي نوع.. هو شخص انعزالي جداً ولا يملك أي وساطة عند أي شخص ذو أهمية كبيرة.. وأنا سأخضع للمحاكمة كالبقية دون قيد أو شرط.. متى ستكف عن وسوساتك هذه؟"

قال أدهم بحدة "كل ما أطلبه هو مركبة فضائية صغيرة تنقلني مع حمراء وبسمة، إن وافقتا على الانضمام إليّ، قبل اقترابنا من الأرض.. أهذا كثير؟"

بدا الاهتمام على ملامحي لهذا المطلب الذي قد يكون فيه حل لمشاكلنا جميعاً.. بينما قال أمجد "وإلى أين تنوي الذهاب؟ هل ستظل طوال ما تبقى من عمرك تخشى مجلس الأمن وتخشى ما يذكرك به؟" قال أدهم بشيء من الجفاء "لا دخل لك بوجهتنا ولا أريد منك أن تقلق علينا.. كل ما أطلبه هو تسهيل هربنا قبل اقتراب أي مركبات فضائية تابعة لمجلس الأمن وقبل أن ترصدنا أقمارهم الصناعية.. أهذا عسير؟"

نظر أمجد في وجوهنا واحداً تلو الآخر وكأنه يقيس ردة فعلنا المحتملة لما سيقوله، وقد كنت أعرفه تمام المعرفة، ثم قال "أرفض ذلك.. لا تجبرني على حبسك في غرفة مع السجناء الآخرين حتى نصل فوجئنا بأدهم يندفع نحو أمجد بخطوتين واسعتين فيقبض عليه من مجمع ثيابه ويلصقه بالجدار بقوة قائلاً بحدة "أود رؤيتك تحاول.. أنت تهمني ولا أنسى ما مررنا به معاً.. لكن لا تجبرني على الإساءة لك بأي شكل كان.."

قال أمجد بتحدٍ "افعل ما يحلو لك.. لن تتمكن من الهرب مهما حاولت.. لا تجعل موقفك أكثر سوءاً مما هو عليه.. وصدقني لن يبخل علينا عمي بجهدته لإثبات براءتنا.. فقط كن صبوراً.."

غمغمت بسمة بشيء من الذعر "لا تتشاجرا أرجوكما"

أما أنا فقد قطبت أنتظر ما سيسفر عنه جدالهما.. لو أتيحت لي فرصة الهرب، فهل أفعل؟ هل أمضي

بقية عمري خائفة أترقب ما حولي بفرع شديد؟ أم أستسلم لراحة بالي في سجن ضيق إن لم يسوقونني للمشنقة مع عدم قدرتي على إثبات براءتي؟.. حقاً لست أدري..

سمعت أدهم يقول من بين أنفاسه الغاضبة "اسمع.. لو أوقعنا عمك في ورطة كبيرة.. لو أصابنا ضرر من البقاء.. لو تم الحكم على بسمة بأنها مذنبه وأوقعوا عليها عقابهم أيّاً ما كان.. صدقني، لن تسلم من غضبي عندها.. ستندم على أنك قد اعترضت طريقنا في هذا اليوم"

نظرت لوجه أدهم الغاضب بشدة وأنا متأثرة من قوله.. إنه بهذا يفصح بوضوح أنه لا يزال مهتماً ببسمة، رغم كل الادعاءات التي أطلقها أمامي سابقاً.. مازال مهتماً بها ويخشى عليها أكثر من أيّنا وربما أكثر من نفسه..

التفت لبسمة لأرى رد فعلها، فرأيت بصرها معلقاً به بانفعالات متباينة، قبل أن تخفض بصرها وهي صامتة..

لم يعلق أمجد وهو يحرق في عيني أدهم مباشرة.. قبل أن يقول بثقة "عندها ستجدني في انتظارك دون مقاومة"

بدا أن رده قد أخرس غضب أدهم تماماً.. فقد أفلت أمجد وهو ينظر له بحيرة شديدة، قبل أن يضرب الجدار خلفه بقوة ليفرغ غضبه ثم غادر بصمت تام..

مضى هذا الأسبوع كأشد وأثقل ما يكون.. كان أطول أسبوع شهدته في حياتي، وربما كان ذلك بسبب فراغي من كل عمل أو بسبب دوامة الأفكار التي تستعمر عقلي ليل نهار.. لكن في اليوم الذي أعلن لنا فيه خالد بلوغنا حدود الأرض، ورؤية القمر، أصابني توتر شديد أثار ألماً في معدتي.. جلست في جانب المكان منتبهة على نفسي أقاوم الألم وأحاول ألا أظهر شيئاً مما يعتل في أعماقي على الملأ.. ولما عجزت عن ذلك وقفت لأغادر غرفة القيادة.. فسألتني بسمة بقلق "إلى أين؟"

قلت لها "سأذهب للتجوال في أرجاء السفينة.. لا تقلقي.."

غمغمت "هل آتي معك؟"

دمدمت "بل أفضل البقاء وحيدة قليلاً.."

وتركتها بقلق أشد فخرجت من الغرفة وسرت في ممرات السفينة محاولة تناسي آلام معدتي المتزايدة.. حاولت إيجاد بصيص أمل في موقفنا، أو إقناع نفسي بوجوده، دون فائدة.. فزفرت بضيق وكآبة وأنا أضغط بيديّ على بطني لتهديء الألم.. بعد لحظات سمعت صوت خطوات خلفي، ثم شعرت

بأمد يمسك ذراعي برفق قائلاً بقلق "هل أنت بخير يا حمراء؟ ممّ تشتكين؟"
غمغمت "لاشيء.. مجرد توتر.."

فنظر لي برفق وهو يقول "أمازلت قلقة مما سيحدث لنا بعد وصولنا؟"
سألته "ألست كذلك؟"

أجابني بهدوء "بلى.. لكنني واثق أن هذه ليست النهاية.. لا يمكن أن تكمل جهودنا طوال تلك الأيام بالفشل.. ثم إنني أثق بوعود عمي رغم أنه شخص مستفز.. إلا أنه لا يخلف وعداً أبداً.."
صمتُ وأنا أستند على جدار قريب مطرقة، فوقف أمد قربي صامتاً للحظات، قبل أن تمتد يده كالعادة نحو خصلات شعري الخلفية تعبت بها دون أن أعترض مما أدهشني أنا نفسي.. وسمعته يهمس "حمراء.. ما زلت حائراً لا أعرف أي شيء مما أبغي معرفته منك.. ما زلت غامضة تصدين محاولاتي في كل مرة، رغم أنك تعلمين أنني أحبك"

نظرت له بدهشة لتكراره ذلك الاعتراف بكل بساطة، فانسعت ابتسامته وهو يقول "لو كنت تتعجبين من تكراري هذا القول دون ملل، فأجل، لا يهمني تكراره دائماً مادمت أملك أملاً في استجابتك له.. لكن.. ماذا عنك؟ هل ستجعليني بحيرتي طويلاً؟ لو كنت تكرهيني حقاً فلا تتركيني معلقاً بأمالٍ وهمية"
خفضت بصري بصمت للحظات، ثم غمغمت "أنت تعلم أنني لا أكرهك.."
غمغم "كنت كذلك عندما استعدت ذاكرتك"
نظرت له وقلت "لكني أيقنت بعدها من حبك لي وأنت لا يمكن أن تخدعني.. رأيك تضحي بنفسك لأجلي، فلا يمكن أن أكرهك بعدها أبداً"
قال بتعجب "فقط؟"

عدت أخفض بصري من جديد وأهمس "الموقف الذي نحن فيه لا يجعل قلبي خالياً لأحب من أشاء.. لا يمكن أن أجعلك تربط نفسك بي وأنا لا أدري أأنجو من حبل المشنقة أم لا"
قال وهو يعتدل "من قال إنك مهددة بهذا فعلاً؟ لا يمكن أن أسمح بذلك أبداً"
قلت بمرارة "وهل تملك من أمرك أو أمري شيئاً؟"
أمسك يديّ الاثنتين وهمس "حمراء.. فقط طمئنيني.. أريحي عقلي وقلبي وصارحيني بمشاعرك مهما كانت.. وبعدها، ثقي أنني سأعمل ما بوسعي لأجلك.. لن أدخر وسعاً لإنقاذك ولألتقي بك من جديد.. فقط.... لا تتركيني بحيرتي.."

ساحت نظراتي في عينيه.. لو أنه يفهم.. لو أنه يقرأ دخيلتي دون الحاجة للكلمات.. لو أنه فقط.....
همس مقاطعاً أفكاره "لو أنك تخشين ضعفك معي.. لو أنك تخشين استسلامك لحبي.. لو أن أياً من المخاوف التي دارت برأسك سابقاً لازالت تجعلك مترددة، فأخبريني بها لعلّي أستطيع إزالة مخاوفك.."

لكن لا تدعي شيئاً صغيراً يبعدنا ويفرق بيننا فيما قد نندم عليه فيما بعد" غمغمت "كل مخاوفي السابقة تجاهك قد تبخرت فلا تقلق.. ما يشغل فكري الآن هو مصيرنا بعد إعادة محاكمتنا.."

فغمغم "وأنا؟ ماذا أعني لك؟"

مرة أخرى يضطرنى لقول ما لا أريد قوله.. بعدما كنت أرددها على مسامعه ليل نهار بكل بساطة وهو غير عابئ بها، الآن وأنا أُلح الاهتمام واللهفة في عينيه فإن غصة تسدّ حلقي وتمنعني من التقوه بأي شيء.. رغم إدراكي أن أمجد الذي يقف أمامي يختلف تمام الاختلاف عن أمجد الذي كرهته سابقاً.. عاد يلح عليّ "وأنا يا حمراء؟"

قلت وأنا أشيخ ببصري بعيداً "أنت مهم بالنسبة لي.. لطالما كنت مهماً منذ عرفتك.. رغم كل كلمات الكره التي رميتها في وجهك، إلا أن قلبي لم يعترف بذلك الكره وظل يحبك" وابتسمت بمرارة بجانب فمي مضيئة "حتى عندما فقدت ذاكرتي، فإن قلبي لم ينسك أبداً واختارك أنت من جديد.. لكن ما فائدة كل هذا الآن؟"

لم ألتفت لأرى وقع كلماتي عليه، لكنني وجدته يحيطني بذراعيه ويضمني ل صدره بقوة.. وهذه المرة استكنت له دون أن أدفعه بعيداً كالسابق.. سمعته يقول بصوت لا يخلو من انفعال "لماذا اليأس الآن؟.. ثقي أن وضعنا هذا مؤقت.. ثقي أننا سنلتقي.. لابد سنلتقي وسننسى كل الذي مضى ونسعد بالقادم.."

تمالكت رجفة شففتي والمرارة في حلقي بصمت دون أن أعلق، فأبعدني قليلاً وأضاف "لا تجعلني هذا اليأس يغطي شخصيتك القوية ويظهرك بمظهر الضعيفة.."

فقلت بشيء من السخرية "هل ستكرهني لو كنت كذلك؟"

بدا العتاب في عينيه وهو يواجه عيني مما جعلني أخجل مما قلته وأخفض بصري، فقال "ما مضى لن يعود.. هل سيظل ما فعلته محللاً فوق رأسي ما حييت؟ مهما فعلت ومهما كنت، سأظل أحبك للأبد يا حمراء.."

رفعت بصري وسألته "هل لي أن أسألك سؤالاً؟"

قال بابتسامة "بالطبع، إن لم يكن في هذا السؤال أي شبهة اتهام.."

غمغمت وأنا أخفض بصري من جديد "ما الذي تغير على هذا الكويكب؟ أنت لم تكن تحبني في السابق.. كنت في الواقع تكرهني وتكره ضعفي.. فما الذي سبب تغير مشاعرك بهذا الشكل؟"

غمغم وهو يمسك يدي بقوة "أعلم أنك تستغربين ذلك، وأنت لا ترين في نفسك استحقاقاً لحب أحد.. لكنني أحببت كل ما لم تريه في نفسك.. أحببتك منذ رأيته تتخلين عن راحتك لأجل بسمة وتدافعين

عنها.. أحببت اهتمامك بما يعانیه أدهم وغضبك لأجله..”
ثم أضاف وابتسامة ترسم على شفتيه ”فوق كل ذلك، أحببتك لما وجدتک لا تتوانين عن تلقي الكلمات دفاعاً عن شخص لا يعني لك شيئاً.. في الليلة التي أخذوك فيها إلى العزل، لم يقاربني النوم وأنا متعجب من حالک.. كيف لفتاة أن تفعل هذا بنفسها لأجل غريب عنها؟ كان يمكنك أن تتجاهلي الأمر برمته.. أو تقومي بتحذيري على الأقل.. لكن أن تقفي في مواجهة رجال يخشاهم البقية، بل وتتوعدينهم بكلمات تفوقك حجماً.. لا أدري، بدوت كشخص آخر ذلك اليوم.. شعرت أن حبك قد تسلل إليّ وأنا أرى وجهك بالكدمة فيه والدماء تسيل من جانب فمك..”
تزايد تعجبي من قوله، فأضاف بهمس “قد تقولين إنني إنسان غير طبيعي.. لكنني لست أكثر الأشياء غرابة في هذا المكان.. وأنت أكثر ما أثار تعجبي واستغرابي هنا.. بل وإعجابي أيضاً”
منحته ابتسامة مضطربة وأنا أشعر بثقل أزاحته كلماته من على صدري، فابتسم بصمت وهو يضغط على يدي.. لكن الطريق أمام عينيّ لم يغدُ أكثر إشراقاً وبهجة.. فرغم نجائنا من كل ما واجهناه، إلا أن ما ينتظرنا من تحقيقات مكثفة واستجابات قد يطول لأمد غير معلوم، بالإضافة إلى أن نتائجها مجهولة بالنسبة لنا.. هل سنحظى بحريتنا؟ هل سننّهم بتخريب الكويكب؟ هل سننّهم بمحاولة الهرب من السجن رغم براءتنا؟..
تنهدت والقلق يغمرني.. بالنسبة لي فتهمتي السابقة ثابتة عليّ ولا يمكنني إثبات براءتي مهما فعلت..
فهل سيحكمون عليّ بالإعدام مرة أخرى؟..
أن أترك مصيري بيد الآخرين هو أكثر ما يخيفني.. ألا أملك من أمر نفسي شيئاً يقلقني.. ولا أدري عما سيسفر عنه هذا المجهول..

لم يكن هبوطنا على القمر صعباً فالتحکم الآلي قد تولى كل شيء بعد أن زوده روي بموقع الهبوط بالتحديد.. رأينا القبة الضخمة التي تحوي إحدى مدن القمر ماثلة أمامنا بمبانيها الشاهقة ومساحات خضراء موزعة بتناسق بين أحيائها.. ولها عدة مداخل ومخارج عبارة عن مهبط للسفن متصل به أنبوب زجاجي متوسط الطول يلتحم بالسفينة ليسمح لراكبيها النزول في القبة مباشرة دون تسرب للهواء أو الحاجة لارتداء أي لباس خاص..

بدأ التوتر يعلو في الصدور والقلق يتبدى في العيون بشكل ظاهر، خاصة مع مرأى بعض السفن الفضائية الصغيرة التابعة لمجلس الأمن تقلع من القبة لتقترب من سفينتنا وتحيط بنا إحاطة تامة

وكأنها تتأكد أن أحداً منا لن يحاول الهرب.. لكننا جميعاً، في غرفة القيادة، التزمنا الصمت التام دون اعتراض أو شكوى.. يكفي الأيام التي مضت والتي امتصت كل شكاوينا وثوراتنا..

هبطت السفينة على المهبط الخاص والمهيأ لها، والتحمت بالممر الزجاجي الذي التصق ببابها المغلق.. عندها ظللنا صمت تام في غرفة القيادة دون أن يجرؤ أحداً على قول حرف أو الإتيان بحركة، حتى نهض خالد فجأة ونظر لنا جميعاً نظرة هادئة وإن تبدى فيها الاهتمام.. ثم قال لنا بدون انفعال “إذن.. وصلنا أخيراً.. أحب أن أحييكم على تعاونكم معي وشجاعتكم في مواجهة أنفسكم بالأساس.. وثقوا أنني لن أدخر وسعاً في إثبات براءة البريء منكم”

غمغم روي بعد لحظة صمت “ومن لم يكن بريئاً؟”

قال خالد بابتسامة “هيا يا روي.. ما فعلته في سنك لا يعد جريمة حقاً إنما طيشاً، الذنب ذنبهم لأنهم يستخدمون استحکامات أمنية ضعيفة لمواقع معلوماتهم المهمة.. لا تخف، فمع كل المساعدة التي بذلتها هنا، ومع تسليمك لنفسك دون محاولة الهرب، فأني واثق أنك لن تفتقد حريتك طويلاً”

لم يعلق أي شخص آخر بكلمة وخالد يتحرك تجاه المخرج ماراً بأمجد.. فربت على كتفه بقوة وقال “لا تقلق..”

لم يقل أمجد كلمة وإنما منحه ابتسامة هادئة.. فخرج خالد والحراس يتبعونه بصمت.. اقترب وليد منا وربت بدوره على كتف أمجد قائلاً “أتمنى ألا يطول بقاؤك في السجن يا أمجد.. وأرجو ألا أرى النظرات الحاقدة هذه في عينيك مرة أخرى”

اتسعت ابتسامة أمجد بينما نظرت لهما بعدم فهم.. فالتفت وليد نحوي وقال “أتمنى أن أراك مرة أخرى في يوم ما يا حمراء.. وشكراً على كل شيء”

غمغمت “ما قدمته أنت لي يفوق ما فعلته لك”

قال بابتسامة “لو لم تنقذ حياتي، لما استطعت تقديم شيء لكم.. أنا واثق أنكم ستحصلون على براءتكم فلا تقلقي”

لم أعلق بكلمة.. هل حقاً يمكنني أن أرجو ذلك؟.. خرج وليد خلف بقية الحراس ولم يبق إلا السجناء في الغرفة.. تبادلنا نظرات القلق والتوجس، ثم بدأ أدهم سيره نحو المخرج، ولم تلبث بسمة أن تبعته بخطوات مترددة.. وتتابع الآخرون خارجين والصمت يحوطهم كسحابة سوداء.. خطوت خطوتين خلفهم وقلبي واجف، وأنا أشعر أن قدماي تقودانني نحو سجن جديد، لكنني وجدت أمجد يجذبني من يدي يستبقيني، ولما خلت الغرفة من الجميع التفت إليهِ متسائلة “ما الأمر؟ أَلن نتبعهم؟..”

لم يجب أمجد وهو يحيطني بذراعيه ويضمنني بقوة كبيرة.. استكنت له بصمت رغم غرابة تصرفه.. وشعرت بغصة تكاد تسد حلقي.. منذ هذه اللحظة، سنفترق ولا أعلم متى سأراه مرة أخرى.. هل

سأبقى على قيد الحياة لأراه من جديد؟ هل سيمنحوني حريتي لأجتمع بمن أحب وأقضي بقية عمري بعيداً عن كل ما يذكرني بذلك الكويكب البائس؟.. لست أدري..

بعد لحظة صمت غرقتُ فيها في أفكاري، سمعت أمجد يقول بصوت خافت "حمراء.. كوني على ثقة بأننا سنلتقي يوماً ما.. قد نفترق الآن.. وقد يطول فراقنا حتى يزول كل الالتباس المحيط بنا والاتهامات الظالمة التي لفقت لنا.. لكن ثقي بأننا لابد سنلتقي.."

غمغمت بصوت مرتجف "يبدو أنك سمعت كل التساؤلات التي دارت في أعماقي منذ قليل..". نظر لوجهي وقال "بالطبع سمعتها.. أخبرتك أن كل ما يخصك يهمني وبشدة.. وأستطيع قراءة ما يدور في ذهنك بمجرد النظر في عينيك.."

خفضت بصري وكأني لا أتمنى أن يقرأ ضعفي في عيني.. ألا يرى خوفاً ورعباً من الفراق، ومن المستقبل المجهول.. لكنه رفع وجهي وقال محاولاً طمأنتي "ثقي أنني لن أنساك أبداً.. ستظلين معي مهما طال ابتعادنا.. وستظلين محتلة فكري مادمت حياً.. انتظريني.. فسأتي إليك أينما كنت فور خروجي.."

همست بصوت متهدج "هذا إن كنتُ على قيد الحياة.."

قال بحزم "ستكونين كذلك.. لقد وعدني عمي بأنه سيوكل أكفأ المحامين لإثبات براءتنا نحن الأربعة.. ولا أشك أنه سينجح في ذلك.. كوني على ثقة بأننا سنخرج، وبأننا سنلتقي.. حتماً سنلتقي يا حمراء" انسابت دموعي بصمت وقد عجزت عن السيطرة عليها، فمسحتها بأصابعه وهو يقول بضيق "لا تجعليني أراك باكية قبل رحيلنا.. لا أريد أن أتذكرك إلا باسمه واثقة كما عرفتكَ دائماً..". قلت بصوت متهدج "هذا أقوى من قدرتي يا أمجد.."

قاطعنا صوت صارم يقول بلغة نايبو "ما الذي أخركما عن الرحيل مع البقية؟"

التفتنا لنرى جندياً يشير لنا بسلاحه، وأظنه جاء ليتفحص أرجاء السفينة بحثاً عن تأخر من السجناء فيها.. فغادرنا بصمت وأمجد يمسك يدي بيده.. تجاوزنا ممرات السفينة دون أن يتركها، والتقينا بالبقية قرب البوابة دون أن يتركها، وغادرنا السفينة معاً مواجهين الجموع التي أتت لترى الناجين من الكويكب دون أن يتركها أيضاً..

ثم اجتمعنا مع راكبي السفينة جميعهم في الساحة الواسعة للمهابط في سجن القمر، والجنود بأسلحتهم المتطورة يحيطون بنا من كل جانب خشية أن نثور أو نحاول الهرب من مصيرنا المحتوم.. وهناك، قاموا بدفعنا لركوب الحافلات كبيرة الحجم التي ستنقلنا للسجن الذي سيضمنا في قلبه حتى يتم الحكم علينا.. عندها قاموا بفصلنا حيث ركب الرجال في حافلات خاصة بسجن الرجال، ونحن قادونا للحافلات التي ستأخذنا لسجن النساء الذي يقع في منطقة أخرى من القبة السكنية..

عندها، ضغط أمجد على يدي بقوة قبل أن يتركها وكأنه يحاول بث الثقة في نفسي لأمد أطول..

وارتسمت ابتسامة على شفتيه قبل أن يهمس لي "سألتقي.."

ابتسمت له بدوري وأنا أحاول منع دموعي من الانحدار من جديد.. وظلت عيناى معلقتان به حتى ابتعد

وغاب بين الجموع.. وقبل أن أستدير رأيت أدهم الذي كان قريباً يقول "إذن.. حتى نلتقي يا حمراء.."

ابتسمت بمرارة وغمغمت "إن كنا سنفعل.."

قال بتأكيد "سنفعل.."

تردد قليلاً، قبل أن يقول "حمراء.. هل يكون سخفاً مني أن أطلب منك الاهتمام ببسمة؟"

قلت بابتسامة "بالطبع هذا طلب سخيف.. أنا سأحميها ما استطعت بدون أن تفعل ذلك"

نظر لي بامتنان شديد، ثم أضاف فجأة باهتمام "عندما نلتقي.. أعتقد أني يمكنني مناداتك

بحمراء؟ أم أنك تريد استخدام اسمك الأصلي؟"

ضحكت والدموع تلتصق في عيني، ثم قلت مبتسمة "سأظل دائماً حمراء.."

ابتسم بدوره ولوح لي بيده، فلوحت له بيدي بدوري وأنا أعجز عن السيطرة على دموعي أكثر من

ذلك.. فراق أمجد كان صعباً، ولم يكن فراق أدهم بأقل صعوبة.. فقد أحببت حقاً ذاك الرجل بطيبته

وصفاء نيته وضحكته العالية..

أدريت وجهي لأخفي دموعي، عندما رأيت بسمة تندفع من خلفي متجهة لأدهم وهي تناديه بصوت

خافت.. فاستدار وعلى وجهه ملامح دهشة شديدة لم تكن بأقل مما في.. لكنني استدرت واتجهت مع

البقية إلى الحافلة الخاصة بنا تاركة لها حرية الحديث معه، ولو للحظات معدودة قبل الرحيل..

لكن بسمة خفضت بصرها وهي تعض شفرتها السفلى بصمت طال، فقال أدهم ليكسر الصمت

"ستكونين بخير يا بسمة.. كوني واثقة من هذا.."

رفعت وجهها إليه ودموعها تتحدر على خديها، لكن كانت عيناها تحملان عزمًا لم ير مثله من قبل وهي

تقول بصوت فيه رجفة خفيفة "أتمنى ذلك.. على الأقل حتى لا تضيق جهودك في حمايتي سدى.."

ابتسم أدهم ابتسامة صغيرة، فخفضت رأسها وهي تضيف "وأنت أيضاً.. ستكون بخير.. لابد أن

تكون بخير.. لابد أن أراك عند خروجي.."

ورفعت وجهها لترى ملامح التعجب على وجهه وهي تضيف "سأراك.. أليس كذلك؟"

اتسعت ابتسامة أدهم وهو يقول بلهجة حانية "سأراك.. هذا وعد.."

مدت يداً مرتجفة إليه، فصافحها برفق وهو يخشى إيلاها لو زاد ضغطه على يدها.. ولما سمعا صوت

الجنود من حولهما وقد كادت الساحة تخلو من السجناء، سحبت يدها بسرعة واستدارت راكضة نحو

الحافلة التي ستقلنا وهو يشيعها ببصره.. ثم تنهد وهو متعجب من أمرها، وإن كانت كلماتها القليلة

قد منحته أملاً قد وطّن نفسه على عدم انتظاره.. فاستدار بدوره ليركب حافلته وابتسامة متسعة ترتسم على شفتيه..

وفي حافلتنا، وجدت بسمه تلحقني بعد قليل وابتسمت لي رغم الدموع التي تغرق عينيها ووجهها.. لكن ملامحها لم تحمل أي ذعر وخوف كما توقعت منها، بل بدت كمن تخلص من همّ كبير كان يستعمر صدرها.. جلست قربي بصمت وأنا أنظر من النافذة بحثاً عن لحظة أخيرة أتمنى رؤيتها ممن فارقتهم.. لكن تعذر ذلك والزحام بين السجناء يجعل الأمر عليّ عسيراً.. ثم بدأت حافلتنا تتحرك لنغادر تلك البقعة متجهين للمجهول بخطوات سريعة.. تنهدت وأنا أتأمل من النافذة الشوارع الفسيحة المنظمة والمباني المرتبة النظيفة التي تميّز قبب القمر السكنية.. تأملت الوجوه الباسمة السعيدة، والتي لا تعلم بشيء مما قاسيناه طوال تلك الشهور في الكويكب العاشر.. ورغماً عني حسدتهم على تلك الابتسامة التي لا أجرؤ على رسمها على شفتي..

ليس قبل أن أنجو من هذا المصير..

..

ليس قبل أن أجتمع برفاقي من جديد..

...

ليس قبل أن ألتقي بمن أحبّه قلبي من جديد..

....

وليس قبل أن أنسى الشقاء الذي مضى..

.....

والعذاب الذي أتمنى أن ينتهي..

.....

[النهاية]